

تعددت المرات الراحة

وأثره في زيادة إنتاج العمال

للامتاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان

أستاذ علم النفس بمعهد التربية للنبات

من أبنض المواقف الفكرية الى موقف الباحث العلمي العادى إزاء العلم الذى يارسه . فهو لا يزال ينسب اليه الشيء الكثير من المزايا والآثار فى كل ناحية من نواحي الحياة ، ولا يشأ يعيب على الناس غفلتهم أو تغافلهم عن الاستفادة من هذا النوع من الدراسات . وهو إذ يعزو الى العلم الذى يدرسه ما يعزوا لا يصدر فى ذلك عن دراسة خاصة وبمحت دقيق ، وإنما يلهج بأشياء يتوارثها المنتسبون الى هذا النوع من الدراسة . وكثيرا ما ينبج أولئك الباحثون فى إرقام علمهم هذا فى مادة من المواد الدراسية بما يعزون اليه من آثار تهذيبية أو اقتصادية .

وظالما كان موقفى إزاء ذلك أن أتشكك تشككا أضمره أو أجهر به ، وقالما حرصت على أن أقف منهم موقف الحاصم الا اذا أيقنت أن فى ذلك نفعا ظاهرا .

كذلك كان موقفى يوم بدأت دراسة علم النفس إزاء ما يعدنا به علماءه من الآثار الخطيرة التهذيبية والاجتماعية والسياسية . فما أسرعت يوما الى الثقة بشيء مما يقولون بل كنت دائما أقدر أنهم خاضعون فى ذلك للموامل التى خضع لها من قبلهم كثير من العلماء فى تصوير ثمرات العلوم المختلفة التى يمارسونها .

ولم يجهد بعد ذلك من الأمر ما حملنى على أن أغير موقفى أو أن ألين من شدته ، الى أن اضطررتى بعض الموضوعات التى كنت أدرسها لطلبتى الى أن أتبعها فى المؤلفات التى وضعها كبار المؤلفين فى علم النفس الصناعى .

كنت أعرف أن هناك ما يسمى بعلم النفس الصناعى ، وكنت أرى كتبه معروضة فى نوافذ المكتبات ولكنى لا أذكر أنى فكرت يوما من الأيام فى دراسته ، بل ولا فى تعرف موضوعه ومنهجه . بيد أنى لم أكد ألقى النظرة الأولى على أول كتاب فى هذا الفن وقع فى يدي حتى شعرت لأول

مرة في حياتي بأن علم النفس يستطيع أن يفعل الشيء الكثير ، وأنه إذا كان علم النفس محدود الأثر في الحياة الاجتماعية فلا شك في أنه يستطيع أن يحدث انقلابا حقيقيا في الحياة الاقتصادية .

كنت مرة أقرأ كتابا في علم النفس الصناعي . وكان الموضوع الذي أدرسه إذ ذاك هو موضوع العمل والعوامل المختلفة التي تؤثر فيه فتريد مقدار الانتاج أو تخفضه . ثم اتجهت الى دراسة التعب كعامل من العوامل التي تخفض مقدار الانتاج ، وعنت عناية خاصة بدراسة أترفات الراحة في نقص التعب وزيادة الانتاج .

الفكرة الذائعة التي يمتقدها المشرفون على الأعمال الاقتصادية في مصر هي الفكرة التي كان يؤمن بها رجال العمل في أوروبا منذ سنين ، وهي أيضا فكرة الرجل العادي الذي لم يعن بدراسة الأمر دراسة خاصة .

لا يشك أحد من هؤلاء وأولئك في أن الطريقة الصحيحة للحصول على أقصى مقدار ممكن من الانتاج هي أن يستمر العامل في عمله منذ بداية اليوم الى نهايته دون أن يتقطع عن العمل إلا ريثما يتناول طعامه .

ووفقا لهذه الفكرة تدار الأعمال الاقتصادية الكبرى ، وتحت سلطانها يعيش الآلاف من العمال في مختلف الصناعات في مصر .

لم تكن لي يوم شرعت في هذه القراءة ، فكرة مخالفة ، ولكني لم أكد أمضى في قراءتي طويلا حتى بدا لي الشيء الكثير مما لم يكن لي عهد به من قبل . قرأت أنه حدث في معامل بيت لحم "للاولاذ" بالتجارتا بحث في صدد وترات الراحة وتجارب في آثارها .

كان العمل هو نقل كتل من الحديد الى عربات السكة الحديدية . وقد اختير للقيام بهذه التجارب عدد خاص من العمال . وقد جرى العمل على النظام الآتي :

رسم لهم أن يعملوا سبع دقائق ثم يستريحوا عشرا ، ويسيروا على هذا النحو من بداية العمل الى نهايته . وقد أرشدوا الى الأسلوب الذي يتبعونه في حمل وفي رفع القطع الحديدية وفي سيرها ، وفي أمور أخرى خاصة بالحركات المطلوبة في هذا الضرب من العمل .

تملكني نزعة قوية الى التمهيد للنتيجة قبل بسطها ، ولكن يجسني عن ذلك أني أؤثر أن أترك لتلك الحقائق أن تفعل فعلها في نفس القارئ وأن تنال القسط الذي يتدرله أن تناله من الاكثار أو الاستصغار بمزاياها الذاتية الخالصة وحدها .

كان النرد وهو يعمل على الطريقة القديمة التي تتطلب عملا متواصلا لا تتخلله فترات راحة منمظمة ينقل في اليوم الواحد اثني عشر طنا ونصفا فقط أما بعد أن عدلت طريقة العمل على النحو السابق المذكور فقد أصبح مقدار ما ينقله في اليوم $٧ \frac{1}{2}$ طنا . وبتعبير أهم أصبح مقدار الانتاج في تلك المصانع نحو أربعة أمثال الانتاج الذي كان العمال يصلون اليه تحت النظام القديم .

هذه أولى الحقائق التي قرأتها . وما كدت أقرأها حتى كفتت عن القراءة وجعلت أتأمل ما تعنيه هذه الحقائق العلمية للعمل ، وما يحدته اتباع نظام الراحة من تضيير لأقول في حياة المجتمع ولكني أقول - ايثارا للدقة والوضوح - في حياة العمال وأصحاب الأعمال ، ثم في رفع مقدار الانتاج العام .

من أعجب ما يقدر لأمثال هذه الحقائق العلمية الكبرى ألا يزيد حظها عن أن تكون موضوعا للتدريس عند المدرسين ، وموضوعا للتلخيص والاستدكار لا أقل ولا أكثر عند الطلبة ، وأن تبقى كذلك سنين عديدة كل نصيبها فيها أن تتوارها التعبيرات المختلفة فتمتع تارة بالبسط والتفصيل وتصاب أخرى بضيق التلخيص وتحديد الإيجاز . ولا يكاد القوم يرون فيها موضعا لغير ذلك حتى يقدر لها من حرر من النظرة المدرسية الضيقة التي أصبحت الآن ضربا من ضروب العلل الفكرية العامة فيشعر في الحال بأن الأمر يعني البشرية والنظام انذى تعيش عليه . واضح جدا أن هذه الحقيقة العلمية قد حلت إشكالا من الإشكالات الاجتماعية الخطيرة . كان المهتمون بطبقة العمال اذا طالبوا أصحاب العمل بالرفق بالعمال والتخفيف عنهم يلجأون الى الأصول الخلقية والانسانية العامة كالرفق بالانسانية والطف على الأيدي العاملة . وكانت العقيدة العامة إذ ذاك أن مصلحة العامل ومصلحة صاحب العمل لا تلتقيان ، وان كل رفق بالعامل يتضمن تضحية من صاحب العمل . وما هو الا أن ظهرت هذه النتيجة حتى تبين للناس بطريقة علمية قاطعة أن مصلحة العامل ومصلحة صاحب العمل واحدة . وان صاحب العمل الذي يرفض التخفيف عن العمال وادخال فترات الراحة في العمل انما يضحى بمنافعه الاقتصادية ومصالح العمال الجسمية والاقتصادية معا .

وان مثل هذا الموقف الذي كان له ما يبرره في الماضي أصبح في الحاضر فاقدا لكل ما يبرره وأنه لذلك ليس الا ضربا من التحكم في حياة الناس وأرواحهم جذريا بالاحتقار ، بل بالمقاب .

ليست راحة العمال فقط هي ما يعنيه هذا الامتكتشاف الخطير . بل هناك ما هو أكبر من ذلك خطرا . وهنا نحب أن نتذكر ونذكر قراءنا بأن الناحية الاقتصادية لأي عمل من الأعمال أصبحت في العصر الذي نعيش فيه أهم نواحيه . وقد كانت الناحية الاقتصادية

لهذا الكشف العلمى بالنسبة الى صاحب العمل وبالنسبة الى العمال رائعة و"رائعة" هي الكلمة التي اختارها دون سواها .

استطاع صاحب العمل بهذا التعديل أن يرفع أجور العمال ٦٠ ٪ . وأن ينقص مع ذلك تكاليف العمل بنحو ٦٦ في المائة .

ونستطيع أن نقدر خطورة هذه النتائج إذا نظرنا إليها في صورتها الواقعية فإنها إذ ذلك تتكشف عما فيها من معنى اقتصادى كبير .

إذا افترضنا أن العامل كان يتقاضى ستين شلنا أسبوعيا أصبحت أجرته بعد الزيادة المذكورة ٩٦ شلنا أى أن أجرته في الأسبوع زادت بمقدار ٣٦ شلنا وفي الشهر بنحو ١٦٤ شلنا ، وهذا المقدار يعنى الشيء الكثير لفاهية العامل وسعادة أمرته . فانه في الواقع علاوة كبيرة على المرتب الشهري لا يكاد يصل إليها الموظف في مصر الا بعناء شديد . ولا ينبغي أن يتسرب الى الذهن أن هذا تقدير كبير لأجرة العامل الأسبوعية فالواقع أن هذا تقدير متوسط لها .

وإذا كانت المعامل تتفق على الأعمال المذكورة في العام الواحد ١٠٠,٠٠٠ جنيه فإن التشفة تصبح بعد هذا التعديل ٣٤٠٠٠ جنيه وتكون الشركة قد اقتصدت بذلك من نفقاتها العادية مبلغ ٦٦٠٠٠ جنيه في العام ، وهو مبلغ لا يستهان به في الحياة الاقتصادية من أية شركة . الآن وقد رأينا المعنى الاقتصادي للتغيير المذكور في صورة واضحة نود أن نذكر أنفسنا بأن هذا التغيير كان في جوهره أثرا من آثار ادخال فترة الراحة المتكررة .

تنازلت بعد ذلك التجارب التي جعلت غرضها تحقيق أثر الراحة في العمل ، وقد أجمعت نتائجها على أن فترات الراحة التي تتخلل العمل تزيد مقدار الانتاج زيادة محققة ترتفع في أحوال كثيرة الى ثلاثة أمثال الانتاج السابق . ثم تعددت حول فترات الراحة البحوث فشغل الباحثون بتحديد الطول المناسب والمرات المناسبة وهلم جرا .

ليست هذه النتيجة الرائعة إلا واحدة من النتائج الكثيرة المتعددة التي اهتدى إليها المتخصصون في دراسة علم النفس الصناعي . وليس من غرضي أن أعرض هذه النتائج ، وإنما الذي قصدت اليه شيء آخر . وأحسست منذ أن توفقت صلاتي بعلم النفس الصناعي انه يستطيع أن يحدث انقلابا اجتماعيا واقتصاديا كبيرا في الحياة المصرية ، وأنه اذا لم يكن في مقدوري أن أحدث أنا نفسي هذا الانقلاب فلا أقل من ألقت القادرين عليه الى حيث يستمدون أصوله وقواعده .

ابراهيم عبد المجيد اللبان

B.A, M.A (London)

أستاذ علم النفس بمعهد التربية للبيات